

باب الكتب الجديدة

الإنسان والأفكار والمجتمع تأليف فلوجل ، ١٩٤٥ ، ٣٢٨ ص .

Man, Morals and Society. A Psycho-analytical study by J. C. Flugel.
Duckworth, 1945 pp. 328.

يشغل الأستاذ فلوجل مكانة فريدة في ميدان علم النفس المعاصر ، فهو يجمع بين المعرفة الواسعة الدقيقة بنظريات علم النفس التقليدية وبوجوه النظر المختلفة التي تقول بها المدارس المعاصرة (وله في هذا كتاب : مائة سنة من علم النفس) ، وبين الإلمام الجامع والإنتاج الأصيل في علم النفس التجريبي — ومن هذا كتابه عن « التدريب والتعب والتراوح » — هذا إلى أنه من أساطين المدرسة التحليلية ، وله في هذه الناحية عدة كتب منها « دراسة الأسرة على ضوء التحليل النفساني » ، « ومدخل إلى التحليل النفساني » .

ولقد ظهر كتابه الذي نعرض له اليوم منذ شهور فتلقفه أصحاب الصناعة وغير أصحاب الصناعة ، وأشادت به مختلف الدوريات التي تعرض لشئون الثقافة أو الدين أو الاجتماع — هذا إلى البحوث الطويلة التي نشرت عنه في مجلات علم النفس والتحليل النفساني . ولقد أجمعت الآراء كافة على أن المؤلف قد قام في كتابه هذا بما لم يقم به أحد من قبل للتوفيق بين آراء فرويد وأتباعه وبين الماثور من نظريات علم النفس العام ، وعلى أن قلمه قد زاد على طول الزمن قوة تفيض بلباقة الأسلوب ووضوح البيان . ورغم أنه يندر أن ترضى شيع السيكلوجيين على كثرتها عن مؤلف واحد ، فقد قال عنه جونز رئيس الجمعية الدولية للتحليل النفساني « إن الأستاذ فلوجل قد أخرج لنا عدة كتب ممتازة ، لكن هذا لا بد أن يكون حقاً أروع مؤلفاته magnum opus ، كما تردد مثل هذا القول من غير أصحاب التحليل .

وليس هذا الكتاب عرضاً عاماً لنظريات المدرسة التحليلية أو لأفانين التحليل النفساني وتطبيقاته ، بل هو دراسة لمشكلة الأخلاق ومحاولة للربط بين مشكلات العصر

وبين ما تقول به المدرسة التحليلية خاصاً بفكرة «الأنا الأعلى» وبنشوء الضمير.

يبدأ الكتاب بفصل عن «علم النفس والأخلاق» يفتتحه المؤلف بعبارة كلها صراحة وجلاء إذ يقول إنه «من العسير على المشتغل بعلم النفس في العصر الحاضر أن يتخفف من بعض ألوان الشعور بالخرج والقصور أو الحجل الشديد . . . فهو يفتن أكثر من غيره إلى أن ضروب الفشل في الماضي وأن مشكلات الحاضر والمستقبل هي إلى مدى بعيد مشكلات سيكلوجية بطبيعتها . . . وإلى أن علم النفس رغم التقدم الذي حققه في نصف القرن الأخير فانه لا يزال متخلفاً تخلفاً مؤسباً إذا قورن بالعلوم الطبيعية ، وأنه ليس بيده سوى سلاح مفلول لكفاح الشرور الكثيرة التي يشكو منها المجتمع» ثم يخرج من هذا إلى القول بأن إعادة بناء المجتمع تستلزم العلم بالدوافع التي تقيم السلوك الإنساني ، وإلى أنه رغم عدم نضوج علم النفس فان ما وصل إليه مع ما تقول به المدرسة التحليلية يمكن أن يجدى في إصلاح أحوال الناس في الأيام المقبلة.

ثم يعرض لما واجهه علم النفس بصفة عامة والمدرسة التحليلية بصفة خاصة من معارضة ومن عقبات ، كما يعرض بالنقد للفكرة التي تقول بأنه علم موضوعي لا معيارى تقتصر مهمته على وصف الحياة العقلية وتصنيف وجوه نشاطها إن استطاع ، لكنه ينبغي ألا يتعرض للقيم أو أن يحكم على الظواهر النفسية بالخير أو الشر. ويفصل الرد على هذا قائلاً بأن القيم في نفسها من وقائع الحياة العقلية وأنه ينبغي التفرقة بين العلم النظري والعلم التطبيقي . . . وأن لبعض العلوم مثل الطب وجهان أحدهما يعرض للوقائع وقيم عليها النظريات والآخر يحاول تطبيق الحقائق النظرية تطبيقاً يتضمن تعرضاً للقيم ، ومن هذا النحو علم النفس بعضه علم نظري خالص وبعضه الآخر تطبيق على التعليم أو الإجرام أو الحرب . ثم يتحدث عن أنواع القيم ، وعن حلول النظرة العلمية السيكلوجية محل النظرة الأخلاقية المعيارية .

وفي الفصل الثاني يعرض للضمير والإرادة ويؤلف تأليفاً رصيناً بين نتائج الأبحاث التجريبية التي تعرضت لهذه الناحية مثل بحث فرنكل وفيسكوف في الرغبات والواجبات وبحث وب في الذكاء والخلق وبحث هارتشورن وماي في التربية الخلقية ، وبين آراء مكوجال في نشوء الخلق وتناسق العواطف .

أما الفصل الثالث فيبحث في العلاقة بين التحليل النفسي والأخلاق ويبين أن العلاج بالتحليل أمر يتعلق بالسلوك في صميمه لأنه يحاول الكشف عن الأمور

التي لا يرضى عنها الضمير ، وهنا يبدأ في عرض نظرية المدرسة التحليلية عن الضمير (الأنا الأعلى) فيعرض أربعة ينابيع يقوم عليها .

أولها هو اتجاه جانب من الليبدو النرجسى نحو « مثل الأنا » Ego-Ideal وهذا هو ما يدور عليه الفصل الرابع الذى يعرض فيه فلوجل آراء المدرسة التحليلية عرضاً محايداً يحاول أن يوفق به بين هذه الآراء وبين آراء مكدوجال وبلدوين ، كما يتضمن تقديراً كريماً لما قال به أدلر في هذه الناحية .

ويتحدث الفصل الخامس عن رضى الجماعة وعن مثل الأنا فيعرض لكيفية اتخاذ الذات للتعاليم والميول الخلقية التي تسود بين الناس وخاصة ما يراه الناشئ منها بين أهله أو من يشبهونهم بالنسبة إليه .

وفي الفصل السادس حديث ممتع عن أشكال الصراع التي تدور في مثل الأنا وأمثلة طريفة عن محاولات النفس لحل هذا الصراع .

ثم يعرض الينبوعين الثالث والرابع لنشوء الأنا الأعلى في فصلين أحدهما يعرض لاتجاه العدوان نحو الذات Nemesis والآخر للعلاقة بين العدوان وبين الميول السادية والماسوكية ثم يشغل تحليل العدوان ومختلف الأشكال المتنوية الغامضة التي يظهر بها سبعة فصول من الكتاب ، كلها أمور كبيرة الأهمية غنية بأشكال التفكير ومختلف الأمثلة والحالات التي عاجلها المؤلف نرجو أن نعود إلى عرضها بالتفصيل في فرصة أخرى .

ثم يختم الجانب الأساسى في الكتاب بفصل عن سيكلوجية التقدم الأخلاقى فيعرض لثمانية ميول يقوم عليها تصنيف وجوه هذا التقدم منها الاتجاه من التركيز حول الذات إلى الاهتمام بالمجتمع ، ومن اللا شعور إلى الشعور ، ومن الكف الأخلاقى إلى الخير التلقائى ، ومن العدوان نحو التسامح والمحبة .

أما الجانب الأخير من الكتاب فيشمل ثلاثة فصول أحدها يبحث في مسألة الدين وثانيها يبحث في المذاهب الاجتماعية المتطرفة وآخرها يبحث مشكلة الحرب والسلام ولسنا نستطيع بعد في هذا التعريف القصير بذلك الكتاب الثمين إلا أن نقول إن صاحبه قد وفق توفيقاً ممتازاً في عرض نظريات التحليل عرضاً قوياً مقنعاً . فان قيل بأن نظريات التحليل لا بد أن تجرى عليها التجارب وأن تحلل نتائجها تحليلاً إحصائياً قبل أن تصبح حقائق علمية موضوعية ، وجب أن نذكر أن دقة العلوم الطبيعية لم تكن ثمرة لطرائق التجريب والإحصاء فحسب بل هى قد قامت أيضاً على

وضوح الفكرة النظرية ودقتها ، وهذا هو أروع ما يميز كتاب فلوجل الأخير ، فليس من أصحاب التحليل من استطاع أن يفوقه في عرض الآراء التي يقولون بها عرضاً واضحاً دقيقاً يمكن أن يمهّد السبيل إلى تضمينها بين نظريات علم النفس العام وأن يخضعها للملاحظة ولطرائق التجريب التي يمكن أن تقيمها حقائق علمية كما تثبت الحقائق العلمية الأخرى .

اسموم رمزي

الذكاء : تطوره وأسطاره تأليف جستون فيو .

Gaston Viaud : L'intelligence, son évolution et ses formes. Presses Universitaires de France, Paris. 1946. Pp. 114.

كتيب في مائة وأربع عشرة صفحة من القطع الصغير أصدرته دار « المنشورات الجامعية » في فرنسا في العدد العاشر بعد المائتين من سلسلة : « ماذا أعرف ؟ » في الثلث الثاني من سنة ١٩٤٦ . وهو يتألف من مقدمة وبايين وخاتمة . تبحث المقدمة في الصفات العامة لأفعال الذكاء وتميز بين تلك الأفعال وبين الأفعال الغريزية ثم تعرض لمختلف أشكال الذكاء فتجمعها في قسمين أحدهما هو الذكاء العملي ويشرحه المؤلف في الباب الأول من كتابه والثاني هو الذكاء المنطقي العقلي وقد خصص له الباب الثاني من الكتاب وتأتي بعد ذلك خاتمة تلخص ما جاء في الكتاب وتعرض لبعض المسائل الفلسفية التي تتعلق به ثم يلحق المؤلف بما تقدم ذيلًا يشرح فيه معضلة في « البليارد » كان قد طلب حلها من القارئ في الباب الثاني .

أما خلاصة الأفكار المعروضة في هذا الكتيب فقد جمعها المؤلف في الخاتمة بقوله : رسمنا في هذا الكتاب مخططاً لأهم أشكال الذكاء وتطورها من الحيوان إلى الإنسان الراشد المتمكن مارة بالطفل وبالإنسان الابتدائي أو بتعبير آخر من الغريزة إلى الذكاء المنطقي العقلي مارة بمختلف أنواع الذكاء العملي . فرأينا أن الذكاء الحيواني يستخرج من الغريزة كما رأينا الآلة تحتل محل العضو بالتدرّج بينما تترك المحاولات الإنشائية محلها لتقوم مقامها فيه إبتكارات الحلول الموافقة للوضع الراهن بناء على فهم حدسي لهذا الوضع . ورأينا كيف تولد عند الطفل مع تطور الفكر واكتساب اللغة مقدرات جديدة على العمل وكيف أن هذه المرحلة الجديدة عند الطفل تتميز

باستخدام فيزياء فطرية ضرورية لتقدم الذكاء العملى أما عند الإنسان البالغ الراشد فقد نظرنا إلى تطور ذكائه خلال تاريخ البشرية الطويل فأرنا الذكاء ينمو فى مستويين متميزين هما مستوى العمل ومستوى الفكر ولكن النمولا يسير فى المستويين بسرعة واحدة بل يتأخر الفكر عن العمل فى ميدان العمل ينمو أولاً الذكاء الفنى للإنسان العامل *homo faber* ويتميز هذا الذكاء بانتاج واستعمال الآلات التى تتحسن وتتقدم بنتيجة الصبر الطويل والملاحظة فان العامل يقوم باصلاحات متتالية متعددة فى الآله معتمداً على اكتشافات تجريبية وعلى حدث فيزيائى فطرى فيحصل بذلك على نتائج تدهشنا اليوم . وأخيراً وبعد جولة طويلة فى ميدان العقلية البدائية يبدأ نمو الذكاء فى المستوى الفكرى فيظهر الذكاء المنطقى العقلى عند الإنسان المفكر *homo sapiens* الذى يخلق آلات عقلية منتجة أغزر الإنتاج مثل سلسلة الأفكار المجردة والمبادئ والقواعد المنطقية والمناهج العقلية . وبهذا يزداد المظهر العقلى فى الفعل ويقل المظهر التجريبي أو تصبح مميزاته الرئيسية هى التنبؤ الصادق بالنتائج والثقة والسرعة فى التنفيذ والإنتاج بالجملة . هذا الذكاء العقلى المنطقى هو الذى انتهت إليه جهود الحضارة الغربية منذ أقدم مهندسى الإغريق إلى عصرنا هذا .

ثم يبين المؤلف أن الخط البيانى لهذا التطور يبدو خطأً مستمراً متصلاً إذا نظرنا إلى التطور فى مستوى العمل لأن الشروط التى تحدد العمل ثابتة تقريباً ولكنه يبدو خطأً متقطعاً إذا نظرنا إليه فى مستوى العقل لأن العقل على مستويات يظهر فى كل منها شكل من أشكال الذكاء . وقد عرض المؤلف بعد هذا إلى بعض الأفكار الفلسفية العملية كالفارق بين الإنسان وبين الحيوان فاقترح أن يكون هذا الفارق هو ظهور الفكر التصورى . كما بحث فى أسبقية الفكر على العمل أو العكس فقرر أنهما يوجدان معاً .

محمد خير مسعود

الطاقة الروحية تأليف هنرى برجسون وتعرىب الأستاذ سامى الدروبي

(الناشر : دار الفكر العربى بمصر — ١٩٤٦ — ١٨١ ص)

لئن حق لنا أن نقرر أن علم النفس أخذ يخطو فى مصر خطوات واسعة لأننا أخذنا نطبع تفكيرنا فى المسائل السيكلوجية بالطابع المصرى ، كما قرر ذلك

أستاذنا الدكتور يوسف مراد ؛ فانه يحق لنا أن نقرر كذلك أننا أخذنا ندعم هذه الخطوات بترجمة بعض المؤلفات الغربية ، مما يعين على تفهم الأصول الغربية لعلم النفس الذى ينطبع الآن بالطابع المصرى ، ومما يوفر على المؤلف العربى والقارئ العربى معاً شيئاً كبيراً من الجهد للتعريف بأصول الموضوعات التى تعالج - أوللتعرف عليها. وكتاب « الطاقة الروحية » الذى قام بترجمته أخيراً ترجمة موفقة زميلنا الأستاذ سامى الدروبي ، إن هو إلا مجموعة محاضرات وبحوث قام بها هنرى برجسون ما بين عامى ١٩٠١ - ١٩١٣ . وفى هذه المجموعة نلمح ظاهرة جديدة بالاهتمام . فالأعوام التى ظهرت فيها هذه المجموعة من المحاضرات والأبحاث ، كانت هى الأعوام الحاسمة فى تاريخ علم النفس ، فقد كان موضوع علم النفس بدأ يتضح ويتحدد ، محاولاً أن يقيم نفسه على دعائم علمية بعيدة عن روح الميتافيزيقا . فكان فونت وتلامذته قد أخذوا ينشرون معاملهم وطريقتهم التجريبية فى علم النفس ، كما أنه كانت قد أخذت تنشر كتب فرويد ووليم جيمس وأمثالهما من حاولوا أن يصبغوا علم النفس بصبغة علمية أكثر منها فلسفية . وفى كتاب « الطاقة الروحية » ، بل نكاد أن نقول فى كل التأمل البرجسونى - نلمح بوضوح كيف يتاح لعلم من العلوم أن يفصل رويداً رويداً عن الميتافيزيقا بعد ما تمت عملية إخصائه فى ميدان الفكر الإنسانى ، هذا المقتحم الجرى .

فنحن نجد أولاً أن ثمة كتباً بكاملها تؤلف فى البحث عن أصول الموضوع ، كالكتاب الذى بين أيدينا ، فلم تعد الميتافيزيقا تتعرض له عرضاً إلى جانب دراستها لموضوعات أخرى ؛ بل بدأت تحس بضرورة اهتمامها بهذا الموضوع من أجل أن تسيطر عليه حتى يظل فى حظيرتها ، وهذا الاهتمام وحده هو الذى يؤدى إلى انفصاله نهائياً عن الميتافيزيقا . ونحن نلاحظ ثانياً كيف تستطيع الميتافيزيقا ، بما لها من حرية وجرأة وعدم تقيد بالتجربة ، أن تقتحم مشاكل وتثير خصوبة فى الموضوع الذى أوشك أن يتسلمه العلم ؛ وهذا يتيح آفاقاً غنية يطوف بها المنهج العلمى فيثبت البعض ويرفض البعض . وهكذا ترى برجسون يبحث فى علاقة الشعور بالحياة ، وعلاقة النفس والجسد ، ويبحث فى الحلم ، والذكرى والتعرف الكاذب ، والجهد العقلى ، والدماغ والفكر . . . ونحن نلاحظ ثالثاً كيف يحس الفيلسوف أثناء معالجته موضوعاً أوشك أن يصبح علماً ، بقصور الميتافيزيقا ، فالميتافيزيقا تخسر فى التعمق (بمعنى الوصول إلى شئ يقينى) ما تكسبه فى الإتساع

وهكذا نجد برجسون ثائراً على المنهج الميتافيزيقي ، ويهيب من حين لآخر بالجوء إلى تلك الطوائف المختلفة من الوقائع التي « لا تؤدي إحداها إلى المعرفة المنشودة ، ولكن تدل على الاتجاه الذي نجدها فيه » ورغم هجومه على الميتافيزيقا ووصفه لها بأنها « تفكير هندسي حول معان مجردة » فإنه لا يلبث أن يكشف عن طبيعة الميتافيزيقي فيه ، فإذا به قد أقام بناء هندسياً للوجود : فهناك المادة ، وهناك الشعور « فأما المادة فهي ضرورة ، وأما الشعور فهو حرية » و « على الطريقتين الكبيرين اللذين وجدتهما وثبة الحياة مفتوحين أمامهما ، طريق سلسلة الحشرات الأترتوبودية ، وطريق الحيوانات الفقرية ، ظهر إذن ، في اتجاهين متباعدين ، الغريزة والعقل ، وكنا في أول الأمر متداخلين . ففي أقصى الخط الأول تقع الحشرات الهيمونيتريه وفي أقصى الخط الثاني يقع الإنسان » . وهكذا يعود ناقد الميتافيزيقا إلى التفكير التنظيمي العام للوجود ، وهو جوهر الميتافيزيقا . وتلك نتيجة للقلق الحق الذي يعانيه الفيلسوف عند ما يتأمل موضوعاً أصبح قادراً على أن يأخذ مكانة له بين العلوم القائمة على الملاحظة والتجربة ؛ وكان هذا إيذاناً بأن الفلسفة قد أوشكت أن تضيف إلى ميدان العلوم الإنسانية ميداناً جديداً .

ومع ذلك فليس ثمة علم من العلوم يستطيع أن ينفصل عن الفلسفة تماماً . وهذا راجع إلى تشابك جوانب المعرفة الإنسانية أولاً ، وراجع ثانياً إلى طبيعة الفلسفة التي من شأنها أن تتناول الأصول البعيدة لكل ما ولدت من علوم أثناء تاريخ الفكر الإنساني . لكن الظاهرة الجديدة التي تثيرها علوم الروح بوجه عام — وعلم النفس بوجه خاص — هي أنها لا تكتفي بالثورة على الفلسفة التي نشأت يوماً في أحضانها ، بل تحاول أن تخضع الفلسفة لمنهجها . وهذا بالطبع لم يكن متيسراً إلا في علوم الإنسان ، طالما أن الفلسفة عمل إنساني بالضرورة . فالفيزياء والكيمياء مثلاً لا تستطيعان نقد الفلسفة إلا نقداً سلبياً صامتاً بما تصل إليه من نتائج تخالف أو تؤيد الفروض الفلسفية والنظريات الميتافيزيقية ، أما عالم الاجتماع مثلاً فإنه يحاول أن يفسر الفلسفة من خلال منهجه الاجتماعي ومن حيث هي تعبير عن نظام اجتماعي ما أو آراء طبقة اجتماعية معينة ، وهذا موقف إيجابي مختلف عن موقف الفيزياء والكيمياء . وهذا راجع من ناحية إلى طبيعة علم الاجتماع — وما يشبهه من العلوم التي تتناول حياة الإنسان الروحية — من حيث أنه يتناول النشاط الفكري والعاطفي الإنساني

ومن ناحية أخرى طبيعة الفلسفة من حيث أنها نشاط إنسانى من بين أوجه النشاط التى يمكن أن تتناولها علوم الروح .

وكذلك الأمر فيما يختص بعلم النفس ، فإنه لم يكتف بمحاولة الثورة على الميتافيزيقا ، بل حاول وضع التفكير الميتافيزيقي داخل معاملة . وهكذا نجد برجسون يقوم بمحاولات أولى عند ما يحاول أن يتعرف طبيعة « الجهد العقلى » ، وحيث نستطيع أن نجد امتداداً لهذا فى المحاولات التى قامت بها مدارس علم النفس المختلفة من أجل توضيح سيكولوجية العامل البنائى فى التفكير الميتافيزيقي .

يوسف اسحق السارولى

معامله الاقلية تقرير وضعته جماعة من علماء النفس والاجتماع برئاسة شارلز مايرز

Attitudes to Minority Groups. A report prepared by a committee of psychologists and sociologists, under the Chairmanship of Charles S. Myers. Newman Wolsey Ltd. London, 1946. Pp. 61.

هذا التقرير الذى بين أيدينا كتب إجابة لطلب جمعية اليهود والمسيحيين . وكانت الفكرة الأولى هى دراسة سيكولوجية العداء للسامية antisemitism ، لكن اللجنة التى عينت للبحث انتهت إلى التوسع فى الموضوع بحيث يشمل تقريراً عن الأقليات بوجه عام ، رغم أن مشكلة كل أقلية تختلف عن مشكلة الأقليات الأخرى ، بل إن مشكلات الأقلية اليهودية نفسها تختلف من مكان إلى آخر .

وينقسم التقرير إلى أربعة فصول . عولج فى الفصل الأول منه معنى الحب والكراهية وعلاقة القلق بالخوف والغضب . فالأصل فى الخوف أو الغضب هو إغراء الأم بإبعاد مصدر الخطر أو المضايقة عن الطفل ، ثم يتطور لدى الكبار فيصبح مصاحباً للهروب أو الاعتداء . ثم تعرض التقرير لأصول المنافسة وأصولها حيث تبدو لدى الطفل حين يولد له أخ جديد ، وحيث ترتبط هذه العاطفة الجديدة بانفعالى الخوف أو الغضب . فكل عضو غريب سواء كان ينضم إلى قطيع الحيوان أو إلى مجتمع إنسانى فإنه يعتبر خطراً من الناحية البيولوجية يجب إزالته ، تماماً كما يفرز الدم ما يطرد المواد الغريبة التى تختلط به . هذا إلى أن الغريب فى المجتمع الإنسانى يثير مشكلات بما يحمله من اختلافات فى اللغة والجنس والدين والثقافة والعقيدة والملبس . . . ويمكن

أن تقوم منافسة محترمة بين جماعتين في قوة واحدة ، أما إذا كانت إحدى الجماعتين أنقص من الأخرى ، فانه بدلا من الاحترام المتبادل تحل الكراهية والاحتقار. وهنا تظهر ميول في الجماعة الكبيرة للسيطرة على الأقليات . لكن سرعان ما تتخذ كراهية الأكثرية واحتقارها للأقلية معنى أخلاقياً ، فتصبح الأقلية في نظر الأكثرية مصدر الشر ، والمسئولة عن المجاعات والكوارث . ومن ثم فالأقلية لم تعد مكروهة لأنها مصدر الشر فحسب ، بل لكونها مكروهة أصبحوا يكتشفون فيها كل يوم شروراً جديدة . وهكذا فان الأقلية تصبح مكروهة على أن تحيا في عزلة ، وهذه العزلة تضاعف من كراهيتها والشك في نياتها . ومن هنا أصبح الإحساس بالنقص منطبعاً في نفسيات الأقليات . لكن هذا الإحساس بالنقص كثيراً ما صاحبه تعويض هو عبارة عن إحساس بالعظمة ، فاليهود كانوا يرون أنفسهم شعب الله المختار من بين الشعوب الكثيرة التي كانت تحيط بهم من كل جانب . وهذا بغير شك كان يعود فيزيد من كراهية جيرانهم لهم . ومن ناحية أخرى فكما أن الابن الذي يعامله والده بقسوة ، يعود فيعامل طفلاً آخر بنفس هذه القسوة ، فاننا نجد الأقليات التي لديها رغبات اعتدائية مكبوتة . تعود فتنقم بالتفوق في ميدان المنافسة الاقتصادية أو الفكرية مما يزيد في كراهيتها .

وفي الفصل الثاني يتعرض التقرير لمعتقدات الجماعة من حيث عموميتها وتطورها . فيقول أولاً إنه لا تكاد توجد جماعة من الناس لا تعيش بينها أقلية . ومبادئ العداء للأقليات تلقن منذ الطفولة . فيشب الطفل وهو يكره الأقلية رغم أنه قد يكون على علاقات طيبة مع بعض أفرادها ، ذلك أن الميول نحو الأقليات إنما هي ميول جمعية وليست فردية . ولا يكون العداء للأقلية قائماً على أساس فهم عاداتهم وعقائدهم وثقافتهم ، بل ربما على أساس حادثة لبعض أفراد الأسرة مع أحد أفراد هذه الأقلية . ولا شك أن هناك في كل جماعة أفراداً سيئى السلوك لكن نسبتهم ليست في الأقلية أكثر مما هي في الأكثرية . ولا بد أن نقيم وزناً لإحساس أفراد الأقليات بالنقص ، وما يسببه هذا الإحساس في نفوسهم . إن قرونا من الاحتقار والقسوة والمذابح لا يمكن إلا أن تترك أثراً من كراهية الأقليات العميقة للأكثرية التي يعيشون بينها ، وتبدو هذه الكراهية في تمسكهم بعقائدهم واحتقارهم للأكثرية . فليس مركب العظمة إلا دفاعاً آلياً عن الإحساس بالنقص .

والفصل الثالث يعالج مشكلة الأقليات والاختلافات الجسمية والعقلية . فهناك

عوامل تعمل على إبقاء الأقلية وعوامل تعمل على فناء الأقلية في الأكثرية . فمثلا عدم زواج اليهود بغيرهم جعل وجودهم كأقلية مستمرا ، كما أن وجود الزوج في أمريكا بلونهم الأسود وتاريخهم العبودي جعل من الصعب امتزاجهم بالأوربيين الذين هاجروا إلى أمريكا . وهنا نجد فكرة العنصرية تلعب دورها في تبرير اضطهاد الأقليات رغم أنه لا يكاد يوجد اليوم شعب لم يمتزج بدماء شعب آخر . هذا إلى أن الوراثة ليست هي المؤثر الوحيد على الفرد ، بل هناك البيئة التي قد تختلف لدى أفراد العنصر الواحد ، ولو أن الوراثة لها الأهمية الأولى بغير شك لأنها هي التي تحدد مدى إمكانية تغير الكائن الحي في البيئة . فاليهود يتشكلون جسمياً بشكل الشعوب التي يعيشون بينها ومع ذلك فانهم يظلون محتفظين ببعض المظاهر الجسمية لليهود . وكذلك الأمر فيما يتعلق بالناحية العقلية ، فليست كلها متوقفة على الوراثة بل إنها تتأثر بالبيئة الثقافية والظروف الاجتماعية . كما نلاحظ أن أفراد الجماعات يختلفون في قابليتهم للتكيف مع البيئة الجديدة التي يوجدون فيها .

ولا يأتي الفصل الرابع حتى يتعرض التقرير للأقليات ومعاملتهم في المستقبل . فيعرض أولاً إلى أن غرضاً من أهم أغراض عصابة الأمم إنما كان تأمين الأقليات ، وتنظيم الدول لا على أساس عنصري بل على أساس تعاون الأقلية مع الأكثرية في أسرة واحدة . ثم يقول إن أساس تمييز الأقلية اليهودية في إنجلترا اليوم ليس هو الدين وحده ، ذلك لأن حدة التعصب الديني قد خفت بحيث أن الخارجين على كنيسة إنجلترا — أي المذهب الانجليكاني — لم يعودوا يعدون أقليات ؛ إن اليهود يميزون كأقليات بسبب تراثهم الثقافي إلى جانب اختلافهم مع بقية الشعب الانجليزي في الدين . وقد يبدو أن هذا الاختلاف الثقافي يجعل التعاون مستحيلاً ، والواقع أن الأمر يمكن أن يكون على عكس هذا ، فقد حدث عند احتكاك المسيحية بالوثنية أن خرج شيء جديد ليس هو الوثنية ولا هو المسيحية الأولى تماماً ، بل هو تكامل بين الاثنين ، وهذا هو ما يحدث أيضاً بالنسبة لفردين يشتركان في مشروع ما ، أن يتم بينهما شيء من التكامل ؛ وهكذا فإن عملية التكامل الاجتماعي لا يمكن أن تتفق مع وجود العوامل النفسية لتأكيد الذات أو الرغبة في السيطرة التي تقابلها رغبة في الخضوع . وهكذا يمكن أن تظل الأقلية مع الأغلبية ، لا على أساس أن ينتهي الأمر بفناء الأقلية في الأغلبية ، بل على أساس أن يستفيد كل من الآخر . ومع ذلك فإن اليهود في القرن العشرين بدأوا يحسون القلق أكثر مما أحسوه في القرن التاسع عشر

وبظهور النازية التي تنادى بتفوق العنصر الآرى أصبح اليهود معرضين للمذابح والنفي والتشريد ، ومن هنا قامت الدعوة الصهيونية . لكن كثيرين من اليهود لا يودون ترك بلادهم ، فإذا توفرت الديمقراطية الحقة في البلاد ، فان كثيرين يفضلون التعاون مع شعوب هذه البلاد .

ثم يتعرض التقرير أخيراً لمعنى كلمة « شعب nation » وكان أكثر صواباً لو أنه تكلم عن الدولة state ، لأنه في الواقع خلط بينهما . فالشعب هو الذي يجب أن تتوافر فيه وحدة اللغة والدين والوضع الجغرافي . . . الخ أما الدولة فهي الجهاز المتكون من الحكومة والجيش والبوليس لحكم الشعب . وقد اضطر التقرير بعد ذلك إلى أن يضع كلا من الشعب والدولة في مكانهما ، فقال إنه إذا لم تستطع الأقلية التي تكون شعباً ما أن تعيش مع الاكثرية التي تكون شعباً آخر كأسرتين متحابتين في ظل دولة واحدة ، فمن الأفضل أن يكون لكل شعب دولة ، بحيث يتألف اتحاد بين هذه الدول .

كما أننا نأخذ على هذا التقرير أنه لم يتعرض إلى تحليل الدوافع التي أدت إلى وجود مذاهب في القرن العشرين كالنازية والفاشية تدعو إلى اضطهاد اليهود . إن الدوافع السيكولوجية لاضطهاد اليهود في ظل هذه النظم ، إنما هو تحويل أنظار الشعب عن سبب بؤسه الحقيقي ، وهو نظام الاستغلال . فبدلاً من أن يقال له إن المستغلين الألمان أو الإيطاليين هم سبب فقر الشعب الحقيقي يقال له إن السبب هم الشعوب الأخرى كالانجليز والفرنسيين والروس . لكن هذه الشعوب بعيدة لا يمكن الانتقام منها إلا في حرب ؛ لكن ثمة أقليات يهودية تعيش بين أحضان الشعب الألماني أو الإيطالي ، وهؤلاء مثل حي قريب يمكن أن تصرف عليه الدوافع الاعتدائية المكبوتة لدى جماهير الشعب الكادحة المرهقة . فإلى أن تأتى الحرب ، فليكن الكفاح ضد اليهود ، بدلاً من أن يكون ضد المستغلين أياً كانوا . ومن هنا وجب على كل أقلية ألا تحسب أن اضطهادها بسبب ديني أو عنصري بقدر ما هو اضطهاد لأنهم أصبحوا كبش الفداء . فلا يكون كفاحهم على أساس ديني أو عنصري بل على أساس اقتصادي ضد الاستغلال .

وأخيراً لم يتعرض التقرير لمغزى الحركة الصهيونية ، وهل هي ترمى في براءة إلى حل مشاكل الأقلية اليهودية أم أنها وسيلة لتثبيت قدم الاستعمارين البريطانيين والأمريكيين في الشرق الأوسط . وأتينا لوجدنا الحركة الصهيونية لوجدناها تصطبغ ببصغة النازية

الفاوشية التي اضطهدتهم من قبل ، لأنها تقوم على أساس التعصب للجنس اليهودي واستعمال الطرق الإرهابية النازية . وعلى أية حال فالتقرير عرض في النهاية إلى أن كثيرين يفضلون الاستمرار في البلاد التي يعيشون فيها لو أنه أعطيت لهم الحريات التامة ، أو أنشأوا لهم دولة في اتحاد مع دول الشعوب التي يعيشون بينها . ولعل قصر التقرير هو الذي حال دون اتساع المجال لمثل هذه المسائل .

يوسف اسحق الساروتى

الطفولة الشاذة

دراسات في علم النفس الإكلينيكية نظمها المدرسة العملية لعلم النفس والتربية التابعة لجامعة ليون في فرنسا . باريس ١٩٤٦ — ص ٢٦٣

L'Enfance Irrégulière— Psychologie clinique par Bourrat, Dechaume, Gallavardin, Girard, Kohler, Pellet, Thévénin, Vérel. Bibliothèque de l'Ecole Pratique de Psychologie et de Pédagogie (Lyon). Presses Univ. de France-Paris 1946. Pp. 263.

تحدثنا في عدد أكتوبر ١٩٤٦ في باب أخبار علم النفس في مصر والخارج (ص ٣٧٠) عن معهد علم النفس والتربية بجامعة ليون بفرنسا * . وقد نشر المعهد كتابه الأول « دروس في علم نفس الطفل » سنة ١٩٤٣ ألقاها في سنة ١٩٤٢ فريق من الأطباء وعلماء النفس والتربية . ولما أدى هذا التعاون بين الأطباء من جهة وعلماء النفس والتربية من جهة أخرى إلى نتائج عملية مفيدة نظم المعهد في عام ١٩٤٣ سلسلة ثانية من المحاضرات عن مختلف نواحي الشذوذ والاضطراب في الطفل اشترك في إلقائها ستة أطباء واثنان من علماء النفس والتربية ، مطبقين ما أشار إليه أحد رواد التربية الحديثة في القرن السادس عشر الكاتب الفرنسي الشهير مونتني Montaigne : « إننا لا نربي نفساً فحسب ولا جسماً فحسب ، بل إنساناً ، فلا يجب الفصل بينهما .

والكتاب الذي نحن بصدد تقديمه لنا هذه المحاضرات القيمة الحية . والفصل الأول يعرض مشكلة الطفولة الشاذة بطريقة إجمالية ، مبيناً الخطط الرئيسية لدراساتها ومعالجتها . فنجد تحديداً للشذوذ بأنواعه المختلفة وأسبابه البعيدة والقريبة . وأهم ما

* تحول هذا المعهد إلى مدرسة عملية لعلم النفس والتربية ابتداء من نوفمبر ١٩٤٥ .

يمكن ملاحظته في دراسة الأساليب الرجوع إلى أصول التكامل الإنسانى ومحاولة الوقوف على الأسباب الجسمية والنفسية والاجتماعية . ورغم التداخل الكبير الملاحظ بين هذه الأساليب يجد القارئ تمييزاً دقيقاً يجمع بين الأسلوب التحليلي وبين الواقع الذى يتضمن الجمع والتركيب . وتصنيف أنواع الشذوذ يرسم لنا الخطة التى يجب اتباعها في بحث كل حالة :

(١) أنواع الشذوذ الحركى والحسى واللغوى والحشوى وأخيراً ما هو خاص بضبط المثانة .

(٢) الناحية النفسية ؛ التأخر العقلى ، الاضطرابات الخلقية والمزاجية
(٣) اضطرابات السلوك والشخصية فى الأسرة والمجتمع . ويعنى هذا الفصل بابرار آثار العائلة وسلوك أهل الطفل فى كل ما يترك أثراً سيئاً فى ميوله واتجاهاته وأفعاله .

ويعرض الفصل الثانى والفصل الثالث لحالات التأخر العقلى والتربوى . فنطلع على طرق اكتشاف حالات التأخر وضرورة التبكير فى تشخيص التأخر لئلا يتعذر الإصلاح . ويعنى الفصل الثانى خاصة بتحديد سن الدراسة ونوعها وتعيين المراحل الهامة لاكتساب العادات والمهارات .

ويحاول صاحب الفصل الثالث التوسع فى أسباب التأخر التربوى . وهو يشير بالحاح إلى أخطاء العائلة وأخطاء المدرسة فى تنظيم سير التربية ، كما أنه يشير إلى آثار الحرب التى أدت إلى ظهور حالات نفسية معينة مثل عدم المبالاة ونقص الاهتمام وزيادة درجة السلبية وشدة الشعور بالتعب .

والفصلان الرابع والخامس متممان أحدهما للآخر . فهما يدرسان كل ما يتعلق بالانفعالات وبالاضطرابات العاطفية . ويعتبر الفصل الرابع مقدمة عامة لما يعده إذ يفصل القول فى طبيعة الانفعال وآثاره وعلاقة التعبير الانفعالى بالحالة الوجدانية . وعلى أساس هذا التعبير يمكن تقسيم الأفراد إلى فئتين : شديد الانفعال وسريع التأثر ثم ناقص الانفعال وبليد . وأهم ما جاء فى هذا البحث شرح تأثير شدة الانفعال فى الملكات العقلية والنشاط والتكيف مع المجتمع .

والفصل الخامس ، فضلاً عن أنه يقدم لنا دراسة إجمالية للعاطفة والميول وصلتها بالبيئة ، فانه يعنى عناية خاصة بالاضطرابات الخلقية المزاجية ذات المنشأ الوجدانى . يعتقد كثير من الناس أن الطفل مجرد من كل الميول والعواطف المنظمة للسلوك ولكن صاحب هذا الفصل يرى على العكس من ذلك أن التنظيم يرجع لعوامل ذهنية

وإرادية تستند إلى سهولة التعود التي يتميز بها الطفل . فبدلاً من أن تحدث المواقف الجديدة اضطراباً ، فإن الطفل يتعودها ويتكيف معها . ويمتاز هذا البحث بالأمثلة الحية التي أيد بها الباحث دراسته . وأثبت لنا أن الشعور بالنقص يؤدي دوراً كبيراً في اضطراب السلوك العاطفي لدى الطفل . وبالمقارنة بين الطفل السوي والطفل الشاذ اتضحت خصائص الاضطراب العاطفي وآثاره في الخلق كما اتضحت طبيعة المحاكاة وسلوك التعويض .

ومن بين الفصول التالية التي خصصت لدراسة أنواع الفساد الأخلاقي وانحرافات التخيل وعوامل التعب والإرهاق والكسل نخص بالذكر الفصل الثامن الذي يعالج مشكلة الطفل الكثير الحركة ، العاجز عن الاستقرار مدة طويلة . وهذا البحث مدعم بالملاحظات التجريبية وبالانتباه بالحركة . فالاضطراب الحركي يعتبر صدى للاضطراب الفكري الداخلي . ويكون الطفل غير المستقر حركياً متأخراً في الدراسة لأن تفكيره مشتبك وسريع الانتقال بدون نظام ولا توجيه ، ويكون الخلل عاماً في جميع قواه العقلية . وحاول الباحث ربط هذا الاضطراب الحركي الفكري الشامل بعدة اضطرابات سلوكية معروفة مثل إدمان الحمر وغير ذلك .

وبعد هذه الدراسة التفصيلية لأنواع الشذوذ والاضطراب خصصت الفصول الأخيرة للبحث عن طرق العلاج . وأول خطوة في العلاج يجب أن تقوم على إعادة التربية *rééducation* . وأهم شيء يجب تعليمه للطفل المتأخر القيام بفعل التفكير التام . وقد وضع منهج خاص للعلاج يجب أن يكون فردياً فعلاً يدفع الطفل إلى العمل ، لا إلى التوقف والفراغ من الحركة ، كما يجب أن يكون المنهج جذاباً قائماً على الواقع الحي مشجعاً للابتكار .

وعرض باحث آخر فصل الاتجاهات الحديثة في علاج الشذوذ عند الأطفال ولخص الطرق العملية في جدول شامل يرسم العوامل المختلفة المؤثرة في سلوك الأطفال وكيفية انقاذهم وحمايتهم وتوجيههم . ومما نريد أن نلفت النظر إليه ضرورة تعاون طبيب كل مدرسة مع المدرس والأهل والزائر أو الزائرة الاجتماعية وسيكولوجي المدرسة . وإذا أردنا أن نقتطف اقتراحاً واحداً من هذا الكتاب النفيس هو أن تعمل حكومات الدول العربية على إنشاء عيادات متكاملة في جميع المدارس تضم الطبيب والسيكولوجي والزائر الاجتماعي لكي نعالج إنسانية الطفل بأكملها نفساً وجسداً .

الاختبار التجريبي لعقلية الطفل ونفسيته تأليف الدكتور هـ ماديلين فيوليه كونيل

والأستاذة نيللا كانيفيه — باريس ١٩٤٦ — ٤٤١ ص .

L'Exploration Expérimentale de la Mentalité Infantile. Par Madeleine Violet-Conil et Nella Canivet. Presses Univ. de France. Paris 1946. Pp. 441

كتاب عظيم الفائدة من الوجهة النظرية ومن الوجهة العملية . اشترك في تأليفه طبيبة وسيكولوجية حاصلة على دبلوم معهد التوجيه المهني بباريس وعالمة في علم النفس حاصلة على دبلوم معهد جان جاك روسو في جنيف ، اشتركتا لكتابة كتاب يمكن قارئه من أن يفهم الطفل نفساً وجسداً ، عقلاً ومزاجاً ، في الأسرة والمدرسة والمجتمع ، في سكناته وحركاته ، في يقظته ونومه ، في سيره نحو التكامل . حقاً إن فرنسا لا تزال الأمة التي أنجبت إيتاروسيجان وبينيه وكانوا كلهم أطباء وكانوا من مؤسسي الطرق الحديثة في علم نفس الطفل وكيفية رعايته وتثنيته سواء كان سوياً أو شاذاً .

التدريب العملي بدون أساس نظري متين يؤدي أحياناً إلى عكس النتيجة المرجوة ، وبأن التربية عملية تكاملية فلا بد أن يكون إعداد المدرس إعداداً تكاملياً وهذا الكتاب الذي نعرض له مثال طيب لضرورة تطبيق المنهج التكاملي بطريقة واعية منظمة مقصودة في دراسة الإنسان وخاصة في دراسة الطفل . وبما أن هذا الكتاب زاخر بالمعلومات والتطبيقات في كل فصل من فصوله مما يجعل تلخيصه أمراً محالاً سنكتفي بذكر فصول الكتاب وما يحويه كل فصل من موضوعات ، ويلاحظ أن كل موضوع معالج في فصلين أولهما نظري والثاني عملي .

المقدمة : — معلومات عامة — نمو الشخصية — حالات الشذوذ — مراحل الفحص — الاختبارات ، طبيعتها ومنهجها — نموذج الفحص حسب السن من الولادة حتى المراهقة . الفصل الأول — المورفولوجيا أو دراسة الجسم من حيث الشكل والتركيب التشريحي — (دراسة نظرية) : الأمزجة — النظريات الحديثة في علم النماذج البيولوجية bio-typologie — معلومات أولية في علم الأجنة — الجבלات constitution الأربع حسب الدكتور مارتيني — الجهاز العصبي السمبثاوي — الغدد الصم — الأشكال المرضية .

الفصل الثانى المورفولوجيا (دراسة عملية) : قياس الخصائص الجسمية - البروفيل المورفولوجى - القامة والوزن - بناء الجسم - التنفس - الدورة الدموية - الوظيفة العضلية .

الفصل الثالث - القدرات الحسية (دراسة نظرية) : اللغة ، نموها ، صلتها بالوظيفة الرمزية ، الشروط الحسية للوظيفة اللفظية ، أمراض اللغة - البصر : قياس الشدات الضوئية ، وظائف العين ، الأفعال المنعكسة الممهدة للإبصار - وظيفة الشبكية والعدسة ، الإبصار بالعينين معاً ، الأشكال المرضية - السمع واضطراباته - الحساسية للمسية واضطراباتها .

الفصل الرابع - القدرات الحسية (دراسة عملية) : اللغة ، اختيار الاختبارات وتحليلها ، اختبار ترمان واختبار ديكودر للغة - البصر : اختيار الاختبارات وتحليلها ، قياس حدة البصر ، دراسة النصوع ، كشف اضطرابات إبصار الألوان ، دراسة التشبع ، دراسة مجال البصر ، قياس انعكاس الضوء ، دراسة الإبصار بالعينين - السمع ، الاختبارات ، قياس حدة السمع ، الاتزان ، القدرات الموسيقية - الحساسية للمسية ، قياس مختلف الحساسيات للمسية ، المنهج الإكلينيكى .

الفصل الخامس - الحركة (دراسة نظرية) : العضلة ، المراكز العصبية ، متى تبدأ الأعصاب تعمل ، التكامل العصبى ، قوانين النمو الحركى ، الأعراض المرضية الحركية فى الطفولة ، اللعب ، فسيولوجية الحركة ودراسة الأفعال المنعكسة - أمراض النشاط الحركى .

الفصل السادس - الحركة (دراسة عملية) : تحليل الوحدة الوظيفية - اختيار الاختبارات - سلم الاختبارات الحركية لسن الرضاعة - اختبارات أوزرتسكى للحركة والاتزان والتأزر الحركى - اختبارات ولتر .

بهذه الفصول الستة تم دراسات الأسس الفسيولوجية للسلوك . ويلاحظ أن المؤلفين درست اللغة فى هذه المرحلة لأن نمو القدرة اللغوية الكلامية مرتبط ارتباط وثيق بشروط فسيولوجية معينة وخاصة نضوج بعض المناطق العصبية فى الدماغ وقد اتضحت للعلماء الصلة القائمة بين القدرة على التعبير اللفظى والقدرة على المشى . وفى بقية فصول الكتاب التى تتناول دراسة الذكاء ودراسة الشخصية سنجد باستمرار تداخل العوامل الفسيولوجية والعوامل العقلية سواء فى مجال المهارات الميكانيكية أو المهارات العقلية أو تكوين الشخصية الموضوعية كما يمكن أن تدرس بالملاحظة الخارجية

فالفصل السابع يتناول في أربعين صفحة دراسة الذكاء والنمو العقلي وتفاعل الوظائف العقلية بعضها ببعض . ونرى في هذا الفصل إشارة خاصة إلى نظرية العالم الانجليزي جاكسون في عملية التكامل العصبي وكيف يمكن تعميم هذه النظرية لفهم نمو كل وظيفة حية وتفككها بأثر المرض . ثم يعرض الفصل لأطوار العملية العقلية مشيراً إلى الدور الذي يقوم به كل من التذكر والتخيل والحكم والانتباه . أما الجزء الأخير فهو مخصص لدراسة شذوذ النمو العقلي من توقف أو تأخر أو ضعف .

ثم يعود الكتاب في الفصل الثامن إلى دراسة الذكاء من الوجهة العملية متحدثاً عن أهم اختبارات الذكاء والذاكرة والانتباه : اختبارات ترمان ، بيرون ، ميل ، جريس أرثر .

ويتناول الفصلان التاسع والعاشر دراسة مختلف القدرات من الوجهتين النظرية والعملية : صلة العمل بالقدرات — القدرات الحركية — ملائمة الإنسان لوظيفته التدريب والاختيار المهني . ويستعرض الفصل التاسع أهم الاختبارات الميكانيكية والمهنية المختلفة من صناعة وتجارة ، كما يعرض لوسائل إختبار القراءة والإملاء والحساب والخط الخ . . .

ودراسة الخلق أو الشخصية الموضوعية تستغرق الجزء الثالث من الكتاب . فيعرض لنا الفصل الحادى عشر النظريات المختلفة للنمو الوجدانى والانفعالى : فالون ، بياجيه ، فرويد ، بيشون ، أدلر ، اتشاخوتين ، ألندى ، كريتشمر . ومن النماذج المرضية الإكلينيكية : المتأخر الوجدانى ، الشديد الانفعالية ، جنون الكذب ، البارانونيا ، حالات الفساد الغريزى .

أما دراسة الشخصية من الوجهة العملية فهي معروضة في الفصل الثانى عشر : طرق اختبار الشخصية — التشخيص بواسطة الرسم ، بواسطة تكميل القصص (١) ، اختبار رورشاخ ، الاستخبارات أو مجموعات الأسئلة .

وينتهى الكتاب بعرض بعض الحالات الإكلينيكية كنماذج لدراسة الحالات في العيادات الطبية السيكولوجية وذلك بعد تفصيل القول في فصلين مستقلين في عملية بحث الحالات طبياً وسيكولوجياً واجتماعياً .

* * *

(١) أنظر في هذا العدد مقال اسحق رمزى عن اختبار فهم الموضوع وفي عدد أكتوبر ١٩٤٦ مقاله عن اختبار رورشاخ .

وتنقسم خاتمة هذا المؤلف النفيس إلى قسمين ، يتحدث القسم الأول عن كيفية تنظيم العيادة السيكولوجية في المدرسة وتنظيم مركز التوجيه المهني ولا يتسع المقام للتحدث الآن عن أهمية هاتين المنشأتين وسنعود إلى هذا الموضوع الحيوى لنعالجه بالتفصيل لأننا نعتقد أن كل ما تبذله الدولة في إصلاح التعليم وتنظيم العمل يضع معظمه بدون جدوى مادامت المدرسة عاجزة عن معالجة نواحي النقص والانحراف في التلاميذ المشكلين وما دام توزيع العمل متروك للصدف والمحاولات العمياء غير الموجهة .

صلة علم النفس بالفلسفة — : أما القسم الثانى من الخاتمة وهو لا يستغرق سوى ثلاث صفحات فانه جدير بأن يستوقفنا طويلا . تتسائل المؤلفتان ما إذا كان تشييد المنهج الطبى السيكولوجى وتطبيقه يسمحان بأن نستخلص منهما توجيهات فلسفية ، أو بعبارة أخرى ، فكرة عامة عن الإنسان . هل يتسنى لنا بعد تحليل الشخصية إعادة تأليفها وتوحيد دلالتها ؟ ولا يمكن أن تكون هذه الدلالة مجرد دلالة تجريبية حسية ، لأن التجربة الحسية لا يمكن أن تكون مصدر الوحدة عند ما نكون بصدد طبيعة الإنسان ، إذ أن مهمة علم النفس القصوى ليست أن يعين لنا منحى الحفظ والنسيان مثلا أو قوانين إدراك المرئيات بل أن يفسر لنا كيف أن ذكريات إنسان ما يمكن أن يقول عنها إنها ذكرياته هو ، وأنه هو هو فى سنى طفولته وفى الوقت الراهن الذى يسترجع فيه ذكريات الطفولة ، أو بعبارة أخرى كيف يدوم الشعور بالذاتية على الرغم من التغيرات التى تمر بها الذات . إنه من طبيعة العقل الإنسانى حقاً أن ينزع إلى توحيد معلوماته ، بل توحيد علومه فى علم واحد ينتهج منهجاً واحداً . ولكن بأى حق ندعى أن العلوم الفيزيائية مثلا هى نموذج العلم على الإطلاق (١) وبأى حق نقرر أن جميع الوقائع لا بد وأن تنتظم كلها فى دائرة واحدة وفى مستوى واحد . ولماذا لا يكون علم النفس بما يمتاز به من خصائص موضوعه نموذجاً لجميع العلوم إذ أنه أكثرها تعقداً ويجب أن يكون الأكثر تعقداً هو النموذج وإلا إذا هبطنا به إلى ما هو دونه لجردناه من لبه وجوهره . وعلم النفس — الذى لا يمكنه إنكار الفكر وإلا أصبح والفسولوجيا شيئاً واحداً — يمتاز بموقف فريد بين جميع العلوم الأخرى إذ يتضمن فى الوقت نفسه موضوع البحث ووسيلة بحثه ، أى أن العقل الذى ندرسه لا

(١) نرجو الرجوع إلى المقدمة التى صدرنا بها الترجمة العربية لكتاب كلود برنار : مدخل إلى دراسة الطب التجريبي . المطبعة الأميرية ١٩٤٥ .

يمكن دراسته إلا بالعقل عينه . فقد يبدو لبعض أنصاف العلماء أو لبعض المتحمسين للعلم الذى يقرأونه مشوهاً فى المجالات الشعبية ، يبدو أنهم نسوا الدرس الذى لقننه سقراط للإنسانية منذ خمسة وعشرين قرناً والذى لا تزال ضياؤه تشع فى الطبقات السامية من التفكير حيث يتسنى للمفكر المتواضع أن يلقي نظرة شاملة ، بقدر ما تسمح به الطاقة البشرية ، على الوجود بأكمله .

ونحن لا يعترينا العجب ولا نقرر أن الكتاب الذى نحن بصددده ليس كتاباً فى علم النفس ، عند ما نرى مؤلفيته تبحثان ، لا عما يؤدى به البحث الطبى السيكولوجى إلى اعتبارات فلسفية فحسب — فهذا شأن جميع العلوم — بل تبحثان عما تتضمنه كل خطوة يخطوها علم النفس من أصل فلسفى محض ، لا تقوم بدونه كل خطوة من الخطوات لأنه فى الواقع هو الرابط الأصيل الذى يجعل من تلك الخطوات وحدة متكاملة . فالخطوات من حيث هى مضمومة بعضها إلى بعض من الخارج تكون الفرد ولكنها تكون الذات أو الشخص من حيث هى وجهات نظر لحقيقة ديناميكية واحدة وموحدة منذ الخطوة الأولى ، لا لأنها الأصل المشترك بين كل ما يصدر عنها ، بل لأنها تتضمن الغاية القصوى التى تنتظم كل ما يصدر عنها وتوجهه .

سيددهش الذين انتحلوا أبواق العلم ليقرروا عالياً أن علم النفس انفصل عن الفلسفة وأنه أصبح علماً كعلم الطبيعة والكيمياء إذا قيل لهم إنه لا توجد مدرسة واحدة فى علم النفس — وجود مدارس متعددة ومتنافرة فى علم النفس أمر واقع — إلا وتكون فى الوقت عينه مدرسة فلسفية . أما من يدعى غير ذلك فانه بعيد عن العلم وعن الفلسفة معاً ، لا يفقه معنى العلم ولا معنى الفلسفة . فانه من سخف القول أن يسأل المرء ما إذا كان علم النفس علماً أو فلسفة أو بين بين ، ويزداد سخف هذا القول وضوحاً إذا اكتفى المرء بقراءة كتاب واحد هو الكتاب الذى نشره مرشيسون عن تاريخ علم النفس خلال تأريخ علماء النفس المبرزين فى القرن العشرين لآرائهم العلمية^(١) وعدد هؤلاء العلماء ثلاثة وأربعون . فان المغزى الوحيد الذى يفرضه علينا وجود المدارس المتعددة فى علم النفس ، ليس عدم تقدم هذا العلم^(٢) ، بل عدم

A History of Psychology in Autobiography. Edited by Carl Murchison vol. I, (١) 1930 ; II 1932. Vol. III 1936,

(٢) يقرر كوهلر فى كتابه « النواحي الديناميكية فى الظواهر النفسية » أن أضيق مجال للاكتشافات العلمية هو مجال علم النفس .

إمكان بناء علم للسلوك الإنسانى بدون مسلمات فلسفية أولية ، سواء كانت هذه المسلمات مصرحاً بها أو لا . فاذا كان عالم النفس عند ما يشيد صرح علمه لا بد له أن يتفلسف فخير له أن يتفلسف وهو مدرك أنه يتفلسف . فانكار الاتصال العميق الذى يربط فى الصميم علم النفس بالفلسفة هو بدوره ضرب فى الفلسفة غير أنها فلسفة ساذجة يمكن الاتجار بها فى الأسواق كما كان يصنع السفسطائيون وكما يصنع اليوم تلامذتهم ، ولكنها عاجزة عن أن ترتقى إلى الدرجات الأولى المؤدية إلى معبد الحقيقة .

ى . م .

طب النفس

تأليف الدكتور محمد كمال قاسم ، بكالوريوس فى الطب والجراحة وأمراض النساء ، دبلوم التخصص فى الأمراض العصبية والنفسية والعقلية ، عضو الجمعية الملكية لأطباء الأمراض النفسية والعقلية بلندن مصر ١٩٤٦ — ٣٤٨ ص .

أخذت هذه المجلة نفسها على ألا تعرض لغيب الكتب العلمية . والكتاب الذى تعرض له اليوم له فى ظاهر الأمر طابع الكتاب العلمى ، فالعنوان الذى اختير له « طب النفس » ، ومؤلفه أو كاتبه طبيب عنده فوق الدرجة الطبية العامة دبلوم التخصص فى الأمراض العصبية والنفسية والعقلية . ثم أنه حريص على أن يذكر مع مؤهلاته عضوية « الجمعية الملكية لأطباء الأمراض النفسية والعقلية بلندن » وكأن هذه العضوية مما يجوز أن يكون من المؤهلات وما هى كذلك ، فما نذكر أن نظرنا وقع عليها مرة واحدة ضمن مؤهلات التخصص أو غير التخصص للمؤلفين الانجليز وغيرهم على وفرة ما قرأنا لهم . فحرص المؤلف على أن يذكر هذه العضوية مع مؤهلاته العلمية فى صدر الكتاب أولاً ثم فى الاعلانات المتكررة التى نشرت عنه بعد ذلك أمر يدعو إلى الانتباه بادئ ذى بدء ، وهو انتباه سيجد ما يبرره عند الخوض فى موضوع الكتاب .

وطب النفس موضوع ضخم ، والاضطلاع بالكتابة فيه تبعة علمية كبرى لا نعرف فيمن أقدم عليها إلا علماء ممن قضوا العمر أو جانباً كبيراً منه فى دراسة النفس البشرية وسبر أغوارها واستقصاء مكنوناتها ، ثم قل منهم من استطاع بعد ذلك الاضطلاع بتبعاتها جميعاً ، فأين المؤلف من شئ من هذا ؟ المؤلف أحد أعضاء الهيئة الطبية بمصلحة السجون ، ودراسة التخصص فى الأمراض العصبية والنفسية

والعقلية بدأها منذ نيف وثلاث سنوات واستغرقت منه سنة ونصف السنة ، فالخبرة التي قام عليها هذا الكتاب الضخم بعنوانه لا يمكن أن تكون إلا متواضعة ومسرفة في التواضع كما وكيفا ، ولقد يكون مفهوماً بعض الشيء لو أن المؤلف ولى وجهه شطر الجريمة يبحثها ويستقصيها ويحاول أن يكشف عن جانب من العوامل الدفينة فيها . والبحوث النفسية في الجريمة تطرد عمقاً واتساعاً وتخطو بخطى موفقة نحو تعرف النفس البشرية والكشف عنها ، ولكنه لم يفعل ، وأثر أن يكتب في طب النفس على إطلاقه . فإذا لم يكن الأمر مع المؤلف أنه ركب شططاً في الاضطلاع بنبذة علمية ينوء بها ويتعثر دونها ويهبطه القيام بأعبائها في حدود الدقة والأمانة العلمية ، فلا بد أن لكلمة الطب النفسي مدلولاً خاصاً عنده يختلف عن المدلول الذي نفهمه ويفهمه جمهرة المشتغلين بالعلوم النفسية .

وسنرى أى الاحتمالين أكثر انطباقاً على الكتاب وصاحبه عند ما ننتقل من هذه الملاحظات الشكلية إلى موضوع الكتاب .

* * *

تثير قراءة هذا الكتاب في نفس القارئ ، أول ما تثير ، شعوراً مريراً بالحيرة لا يلبث أن يستحيل إلى سخط واستياء وإنكار ، فان القارئ الذى استماله عنوان الكتاب فحسب أنه سيلقى فيه بحثاً علمياً دقيقاً عن النفس في صحتها واعتلالها لن يلبث أن يرى نفسه إزاء مجموعة مشوهة من « الآراء » الفجة غير الناضجة التي جمعها صاحبها على الترخص والخطأ ، وعرضها بصورة مشوشة مبتسرة فجاءت تجافيا الروح العلمية وتدخلها الركافة وتشيع فيها الأحكام الواعثة المضطربة .

وسيعجب القارئ ، وسيحرق ، مراراً وهو يتأمل تفاهة السند الثقافى العام الذى قام عليه الكتاب ، وسيتابعه هذا العجب وهذا الحق وهو ينتقل بين صفحات الكتاب وعباراته ، محاولاً عبثاً أن يكتشف له موضوعاً أو منهجاً أو هدفاً بالمعنى العلمى المعروف لهذه العبارات ، وسيسأل نفسه دهشاً : أى استبصار هذا الذى دفع بالمؤلف إلى أن يفصح نفسه على هذا النحو الطائش ؟ أما كان الأخلق به ، وهذا قصاره ، أن يظل حيث هو فى دعته وأمنه بدلاً من النزول إلى هذا الميدان المكشوف حيث يشق الحساب ولا يجدى الاحتماء وراء المؤهلات والألقاب ؟

أنا من الذين يؤمنون بأن النقد بناء لا هدم ، وأن من واجب الناقد المنصف أن يشيد بالحسنة قبل أن يذكر السيئة ، ولكن ما حيلتنا فى كتاب لم نستطع أن نلقى

فيه موضعاً واحداً للتنويه والإشارة إلى جانب ما فيه من مواضع لا حصر لها للمراجعة والنقد .

وليس فيما نقول تجن أو إسراف ، فحيثما أجلنا البصر في الكتاب اصطدنا بتفاهة أو ركاكة أو خطأ . ولعل هذه هي ميزته الوحيدة : أنه لا يتعب الناقد في الكشف عن محاسنه أو عيوبه . المحاسن لا وجود لها ، والعيوب لا حصر لها ، وهذه بالاختصار هي السمة المميزة للكتاب .

وحسبنا في التدليل على القيمة « العلمية » للكتاب أن نبسط للقارئ طائفة من الأمثلة المستمدة منه ، لم يقتضينا جمعها جهداً ولم نراع فيها اختياراً ، فما بنا من حاجة إلى الجهد أو الاختيار ، ولكنها هي نماذج مأخوذة « عفو صفحتها » لعلنا لا نجد خيراً منها في تصوير الكاتب والكتاب . وليست هذه النماذج كل ما في الكتاب ، إنما هي للتمثيل لا للحصر ، وإلا فلو أرسلنا أنفسنا في تعقب مواطن التفاهة والخطأ جميعاً لوقع علينا أن ننقل الكتاب من جديد .

ذكر المؤلف ، وهو يعرض لأسباب المرض النفسي فيما أسماه « انحراف النشأة » ما يأتي « . . . وبالجملية يبدو ، إذا لوحظ منذ صغره ملاحظة دقيقة ، أن به شذوذاً أوقصراً لا يوجدان فيمن تكون نشأته طبيعية حتى لقد أجمع كثير من الباحثين على أنه يمكن بفحص طفل ما ومراقبة سلوكه الجزم عما إذا كان سيصاب بمرض نفسي في مستقبل عمره أم لا » (ص ٢٤) ، وندع الخطأ وركاكة التعبير في هذه العبارة القصيرة جانباً ، ونسأل المؤلف أن يدلنا على أحد هؤلاء الباحثين الذين أجمع كثير منهم على الجزم عما إذا كان الطفل سيصاب بمرض نفسي في مستقبل عمره أم لا . نسأله ونعفيه من الأجابة فما نريد له الحرج ، ونحن نعلم أن السكوت على مثل هذا السؤال هو أسلم ما يستطيع من جواب .

وقال مواصلاً بحثه في أسباب الإصابة بالأمراض النفسية تحت عنوان « شذوذ التكوين » ما يأتي بالحرف الواحد « يعتبر البعض أن الشخص الشاذ التكوين معرض أكثر من غيره للإصابة بمرض نفسي ، فالشخص الذي نشأ ضعيف التكوين ، معتل الصحة ، شاعراً أنه دون غيره صحة ، معرض لمرض الهستيريا مثلاً ، والشخص القبيح المنظر ، المشوه الوجه ، قد يصاب بحالة اضطراب قلبي ، وما شابه ذلك . وتكاد الآراء تكون مجمعة على أن شذوذ التكوين له علاقة كبيرة بالإصابة بالمرض النفسي ، إلا أنه قد ثبت أن علاقته قاصرة على الإصابة بالأمراض العقلية ، وهي

فى ذلك واضحة جلية . أما علاقته بالأولى فقد يصعب التثبت من وجودها ، وقد لا يظهر أى فارق فى التكوين بين من يصابون بالأمراض النفسية وغيرهم . . . » (ص ٢٧) . ونحن نرجو أن نلقى انساناً واحداً يستطيع أن يفهم مدلولاً مفيداً لهذا الكلام الذى لا نستطيع أن نرى فيه غير التفكك والركاكة والتجرد من المعنى العلمى . وهو بعد ذلك مثال صادق لما يتميز به الكتاب من الجمع بين الخطأ والابتدال والتخبط والسطحية وتفاهة السند الثقافى .

وتابع المؤلف بحثه العجيب فى أسباب الإصابة بالأمراض النفسية فقال تحت عنوان « عدم الإشباع الجنسى » ما يأتى « يعتبر عدم الإشباع الجنسى فى مقدمة الأسباب التى تهيء صاحبها للإصابة بالأمراض النفسية ، بل لقد جعله بعضهم السبب الرئيسى وعزا إليه كل إصابه بمرض نفسى . وزعم أصحاب هذا المذهب فى الرأى هو العلامة « فرويد » صاحب نظرية « الجنسية الشاملة الكلية » (Pansexualism) التى سيأتى شرحها شرحاً وافياً فى بحث الآراء النظرية فيما بعد » (١) (ص ٣٤) . ونحن نسأل المؤلف ، نسأله كارهين : ترى ماذا يقول العوام وأشباه العوام لو أن واحداً منهم ركب رأسه وبدا له أن يكتب عن فرويد ؟ أكان يستطيع أن يوفق إلى مثل ما وفق إليه المؤلف فى تشويه آراء الرجل ومسسخها والتهمج عليها وعرضها بمثل هذه الصورة العامة المستهجنة ؟

ويرى المؤلف أن واجب الإنصاف يقتضيه ألا يعرض لاحدى المدارس السيكولوجية دون الأخريات ، فبعد أن فرغ من المدرسة الفرويدية مسخاً وتشويهاً انتقل إلى المدرسة التحليلية ليونج فاتم مهمته فيها فى خمس صفحات ، ولم ينس أن يذكر لنا أن المنبسط Extrovert — وهو ما أسماه « محب للمخالطة » — إنسان « ينظر إلى الحياة نظرة عامة قوامها إنكار الذات والتفانى فى خدمة المجتمع والعمل على ما فيه الخير للجميع » (ص ٦٧) . وما عليه من بأس فيما يقول ، فن ذا الذى يجرؤ على مناقشته الحساب وهو الاختصاصى « المعروف » تارة « والمسئول » تارة أخرى ، الذى جاء كتابه لينشر العلم والمعرفة ويتحدى الدجل والشعوذة . ويمضى المؤلف متحدثاً عن بقية المدارس السيكولوجية الأخرى فى سطحية

(١) استغرق هذا « المرح الوافى » لنظرية فرويد ، وما عده المؤلف مناقشة لها وتعقيباً عليها ، ثمان صفحات ونصف أو ١٨٧ سطراً من الكتاب . وهذا مثال فريد ، ولكنه ليس بالمثال الوحيد ، لدى تقدير المؤلف لتبعاته العلمية فى هذا العمل الذى اجتراً عليه .

مبتذلة وأسلوب زكيك . وإنه ليجمع في حديثه بين الإيجاز المخل والخطأ الفصاح ، حتى يصل بنا إلى ما أسماه « علم النفس التكاملى » Pattern Psychology ، فإذا به يسمعنا للمرة الأولى في حياتنا العلمية عن عالم ألماني اسمه « جستالت » Gestalt قال المؤلف « ولقد أيدت هذا الرأي أبحاث الكثيرين من علماء النفس أخصهم العالم الألماني جستالت Gestalt . . . الخ » (ص ٨٣) . فهل بعد هذا إمعان في الاستهتار والتهمج على العلم : أن يقدم إنسان على التأليف العلمى وهو معطل من السند الثقافى العام ، ومعطل من المبادئ الأولية للعلم الذى يكتب فيه ، ومعطل من المراجع التى ينهل منها ويستند إليها . حسب الكتاب هذه السقطة وحدها لتخرج به من ميدان التأليف العلمى إلى النشرات الرخيصة التافهة ، وحسب المؤلف إياها لتقرر مكانه بين الذين يكتبون عن معرفة وروية وإطلاع أوعن جهل وغرور وادعاء وينتقل المؤلف إلى معالجة موضوع « الأحلام » فيتناولها بنفس الخفة والركاكة والسطحية التى تسم الكتاب بسمة الابتذال وتخرجه من دائرة التأليف العلمى الرصين . ويمضى على هذا النحو نفسه متحدثاً عن أنواع الأمراض النفسية ، فيشير إلى حالات القلق والهستريا والاضطراب الوسواسى التسلطى والنوراستانيا ، وينقل ، بصورة مشوهة ، المحاضرات التى استمع إليها أثناء التحضير لدبلوم الطب النفسى (١) ثم يلحق كل نوع منها بطائفة من الحالات التى عرضت له فيما يزعم أنه إيضاح للعمليات النفسية المرضية فيها . وسنعرض لهذه الحالات عما قليل ، فلولا أن المقام مقام جد وترزمت لكنت الأعاجيب الواردة فيها معيناً لا ينضب للتندر والسخرية . ثم يعرج المؤلف على ما سماه « بعض اتجاهات سلوكية شاذة » ، فيلمح في سطور إلى الكبر والغضب والبخل والإسراف والتشاؤم والكذب والسرقة الخ . . . ويذكر هذه الصفات فى عبارات هى أشبه بما كنا نقرأه فى كتب التهذيب والأخلاق منذ حوالى ثلاثين سنة . وهذا هو ما أشار إليه المؤلف بعد ذلك عند الإعلان عن كتابه فى قوله إنه « دراسة وافية لجميع الأمراض النفسية والحالات السلوكية الشاذة » (جريدة الأهرام فى ١٤ - ١٠ - ٤٦) . ولسنا فى حاجة إلى التعقيب على رأى المؤلف فى هذه الحالات ، فلم يخرج ما قاله فيها عما تجرى به الروايات العامة المألوفة فى مثل هذه المناسبات ، مع إقحام بعض الألفاظ والعبارات ذات الرنين

(١) استباح المؤلف لنفسه النقل من هذه المحاضرات نقلاً مسرفاً ، ومشوهاً ، فى أكثر من موضع من الكتاب دون الإشارة إلى ذلك .

السيكولوجي هنا وهناك . ولم تبد من المؤلف أية محاولة جديدة إلى استقصائها وتحليلها ، فإني له الإلمام بالمذائق والتفصيلات ، وأين منه الجهد على الإحاطة والتعمق ؟ ويختتم المؤلف كتابه بما سماه « علاج النفس » . وقد تحدث في الجزء الخاص بالإيحاء عن الوسائل التي يلجأ إليها الدجالون والمشعوذون ، وحسناً فعل . ثم أعقب ذلك بالخلط بين العلاج والتحليل النفسي ، وهو خلط مفهوم من العامة ، ولكنه غير مفهوم ولا مغتفر إذا جاء من « طبيب إحصائي مسئول » . وقد أطلق العبارة الأخيرة على كثير من وسائط العلاج النفسي ، في حين أن الدوائر العلمية اجتمعت منذ سنوات على قصر عبارة « التحليل النفسي » على الطريقة الفرويدية دون غيرها في دراسة النفس البشرية والكشف عن اللاشعور . ثم بعد هذا كله وجد المؤلف من نفسه الجرأة لكي يقول عما كتبه تحت عنوان « التحليل النفسي وطرقه » إنه « وصف تام عملي لجميع طرق العلاج النفسي وأنواعه » (الأهرام في ١٤ - ١٠ - ٤٦) ويفتضح مدى فهم المؤلف للمدلول عباراته أو مدى احترامه إياها إذا عرفنا أن هذا « الوصف التام العملي » يعنى عنده ثلاث صفحات أو ٦٥ سطراً لطريقة فرويد ، وأربعة سطور لطريقة يونج ، وسبعة سطور لطريقة أدلر ، وستة سطور لطريقة أدولف ماير وهكذا (ص ٣٢٥ - ٣٣٠) .

* * *

في الكتاب ٢٩ حالة ساقها المؤلف فيما يزعم لإيضاح العمليات النفسية المرضية التي تؤدي إلى العصاب (أو المرض النفسي) . وما رجونا ونحن نقرأ هذه الحالات أن نقع على ما يشبه التحليل المتعمق لأصول العلة أو الكشف الدقيق عن عملياتها النفسية المرضية . ولكننا كنا نرجو على الأقل أن نقرأ تحليلاً ذكياً ، وإن كان سطحياً للحالة يربط أعراضها إلى ما يعرف في ميدان الطب النفسي ، بل في الدائرة الثقافية العامة ، من أسباب ومعلولات . كنا نرجو أن يذكر لنا المؤلف كيف عالج حالاته ، وكيف وصل فيها إلى النتائج الطبية التي يقول إنه حققها ، كنا نرجو من المؤلف أن يشرح لنا ما هو « ميكانيزم » المرض ، وما هو ميكانيزم الشفاء ، ولكنه لم يفعل شيئاً وأنى له أن يفعل ؟

ولسنا بمحاولين التعقيب على كل حالة على حدة ، فكلها في الهيكل العام سواء : مريض (أو مريضة) جاءه يشكو من أعراض معينة ، فيفحصه فحصاً جسمىاً دقيقاً ليتحقق من أن أساس العلة في عقلية المريض ، وبأسئلة « لبقه »

يستطيع المؤلف الفاضل أن يستشف العوامل التي أدت به إلى المرض وأن يتبين أثرها في العوارض التي يشكو منها ، وهى لا تخرج في نظره عما يسميه انحراف النشأة وعدم الإشباع الجنسي وكبت الرغبات ومواجهة المشكلات الحالية والإجهاد وغير ذلك من العبارات المبهمة الرنانة التي قد ترضى الجمهور والعامة ولكنها لا تعنى شيئاً كريماً لدى الخاصة ولا تثير في نفوسهم غير السخط والإنكار .

أما العلاج فأمره لا يقل نكراً وعجباً . العلاج في بعض الحالات التي ساقها كان ينحصر في أن يقنع المريض بما يظنه سبباً لمرضه ، وهذا الاقتناع كفيلاً بأن يصل بالمريض إلى الشفاء وأن « ينعم بعيشة سعيدة موفقة » . وفي حالات أخرى يعتقد المؤلف أن الشفاء في الإيحاء فنراه يشير على إحدى مرضاه بحقن « ولكن من نوع غريب لم تسمع عنه مطلقاً » ، وعلى الرغم من اعتقاد المؤلف بأن نوبات المرض سوف تعاودها ثانياً (ص ٢٠٤) فلم يخطر له أن العلاج الذي يرجى نفعه هو التحليل لا الإيحاء على هذا النحو المبتذل الرخيص .

وهناك أيضاً حالة المريضة التي كانت تشكو من تقلصات بالقصبة الهوائية فأوحى المؤلف إليها « أن حالتها بسيطة وأنها ستشفى بسهولة وأن علاجها سيكون بحقن ستحضر خصيصاً في أحد المعامل » . وكانت هذه الحقن محلول ملح عادى نزع منها الاتيكيت الخاص بها ووضعها في علبة أخرى حتى تظهر كأنها حضرت فعلا في معمل خاص (ص ٢٠٧) ، وهذا - يا للخجل - قصارى المؤلف في فهم المرض النفسي وعلاجه .

على أن استعمال المؤلف لما يسميه الإيحاء بلغ غاية التدهور والابتذال في حالة المريضة التي أصيبت بفقد النطق بعد عراك قام بينها وبين جارة لها . فلم ير المؤلف بداً من أن يعطى مريضته قليلاً من البنج ويجرى لها فتحة سطحية طفيفة قفلها بغرزتين لكي يحكم إيحاؤه بأنه قام بعملية جراحية فيها وحدها ضمان الشفاء للمريضة (ص ٢١١ - ٢١٣) . ونحن نسأل أنفسنا بعد ذلك ، ونسأل الذين يعينهم أن تظل الممارسة الطبية فوق الترخيص والابتذال : أهذا مما تجيزه الآداب الطبية ؟ وحتى على فرض صحة النتائج التي يقول بها المؤلف ، ألا يوجد حد للمباح وغير المباح في هذه المهنة التي شقيت بأبنائها والدخلاء عليها على حد سواء ؟ ثم توجه إلى المؤلف العلامة بسؤال أخير لعل فيه فصل الخطاب : لم نحارب الدجل والشعوذة في ميدان الطب النفسي ، ولم نحرم الزار وعمل السحر وحرق البخور واستحضار الجان ،

ولجميعها في بعض الحالات أثر إيجابي « ناجع » لا نحسبه يختلف كثيراً عن أثر
الوسائط التي يعلنها مزهواً مؤلفنا الطبيب ؟

* * *

ولا أختتم هذا العرض النقدي للكتاب قبل أن أضع أمام القارئ طائفة من
المصطلحات العلمية المترجمة الواردة به ، وسيرى القارئ ، فضلاً عن ركاكة
الترجمة ، شططاً في الفهم وخروجاً بها عن المعنى المراد لها ، وعجزاً تعسفاً عن الاضطلاع
بتبعة علمية ينوء المؤلف بها ويتعثر لاهثاً دونها .

- مذهب التبصر Persuasion ص ٤٩ ، ٢٣٢ ، ٣٢٠ . وصحتها « الإقناع »
مشادة Conflict ص ٥٧ . وصحتها « صراع »
ثبوت Fixation ص ٦٠ ، ٦٤ . وصحتها « تثبيت »
تدهور جنسي Regression ص ٦٠ ، ٦٧ . وصحتها « نكوص » أو « تراجع »
طابع الرجولة Masculine Protest ص ٧٠ ، ٧٤ . وصحتها « احتجاج الذكورة »
تكافؤ أو مداراة Compensation ص ٧١ . وصحتها « تعويض »
علم النفس التكامل Pattern Psychology ص ٨٢ . وصحتها « مذهب
الجشطلت في علم النفس » . أو مذهب الصيغة .
مسببات الحلم ومحتوياته Manifest and Latent Content ص ٩١ . وصحتها
« المحتوى الظاهر والمحتوى الباطن » للحلم .
التصنيف Dramatization ص ٩٧ . وصحتها « التمثيل »
التركيز Condensation ص ٩٧ . وصحتها « التكثيف »
اختلاف التقدير Displacement ص ٩٧ . وصحتها « نقل » أو « انتقال »
الدافع الجنسي Libido ص ١١٣ . وصحتها « الطاقة النفسية » أو « الطاقة
الجنسية »
الهستيريا المادية Conversion Hysteria ص ١٢٢ . وصحتها « الهستيريا
التحولية »
الاضطراب الوسواسي العنادي أو اضطراب الوسواس والاعتقادات الخاطئة
Obsessive Compulsive Neurosis ص ١٢٣ . وصحتها « العصاب الحصري الإجباري »
أو « العصاب الوسواسي القهري »
عوارض إرادية Motor Symptoms ص ٧٧ . وصحتها « أعراض حركية »

التدهور المستيري Hysterical puerilism ص ١٩٦ . وصحتها « الطفلية المستيرية » . ظاهرة التعلق Transference ص ٣٢٧ . وصحتها « التحويل »

* * *

وبعد فهذا هو الكتاب الذى قال صاحبه فى الإعلان عنه مفاخرًا إنه يتحدى القائلين باستحضار الأرواح ومخاطبتها وغيرهم ممن رأى أن يدخلهم فى عداد الدجالين والمشعوذين . وما يرجى لكتاب « علمى » مصير آتس من هذا المصير . ولكن أترى المؤلف استطاع أن يحقق لكتابه حتى هذه الأمنية على إسفافها وتعسها ؟ على أن المؤلف بهذا الإعلان المسف لم يقدم إلينا دليلاً جديداً ، لنا فى حاجة إليه ، على تجرده من الروح العلمية وحسب ، بل أنه جانب به مقتضيات اللياقة وجانى الذوق السليم . ولن يشفع للمؤلف أنه قصد إلى الترويج لكتابه عن طريق طرافة الإعلان فضل وجمع ، فان كرامة العلم ينبغى أن تقيم حداً فاصلاً بين ما يجوز أن يقال فى التنبيه إلى التأليف العلمى الجدى وبين ما يقال فى الدعاية للكتابة المسفة الرخيصة . وما يعنى المؤلف عن هذه الجمحة المنكرة أن عثرات الذوق لا تدخل فى حساب الألقاب والمؤهلات .

وما يستحق هذا الكتاب فى ذاته بعضاً من هذا الجهد وهذا العناء ، فما أكثر الكتب التى تصدر فننحيا ونمر بها كراماً ، وما أكثر الأدعياء والمشعوذين الذين يقحمون أنفسهم فيما لا يعرفون ، ولكن الأمر مع هذا الكتاب أشد خطراً ونكراً . فان مؤلفه طبيب ، وما نود أن يقع فى وهم أحد من الناس أنه يمثل « مستوى » الطب النفسى بين المشتغلين بهذا الفرع من أبناء المهنة الطبية . وإذا كان المؤلف زين إليه أنه يستطيع النزول إلى ميدان التأليف العلمى محتمياً بما عنده من ألقاب ومؤهلات ، فينبغى أن يعرف أن القلب المهنى شئ والتأليف العلمى شئ آخر ، وما تستطيع المؤهلات والألقاب جميعاً أن تحمى صاحبها من المؤاخذة والحساب إذا اجتراً على العلم والذوق السليم يمثل ما اجتراً عليه مؤلف هذا الكتاب . والتأليف الجدى فى الطب النفسى بمصر يحتاج لمحنة قاسية فى هذه الأيام ، وينتهك حرمة المشعوذين والدجالون من كل حذب وصبوب ، فاذا جاء المؤلف آخر الأمر يمثل هذا الكتاب متحدياً مزهواً ، فما أفدح مصاب الطب النفسى فيه ، وما أشد خجلنا أن يكون هذا هو قصارى الجهد من « طبيب إخصائى مسئول » فى فهمه والتعريف به والدعوة إليه .

مشكلة التحليل النفسى في مصر — تأليف محمد فتحى بك ، المستشار بمحكمة استئناف مصر سابقاً وأستاذ علم النفس الجنائى بمعهد الدراسة الجنائية بكلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول — مصر ١٩٤٥ — ٢٢٩ ص .

يتناول هذا الكتاب العرض لمشكلة قديمة من مشكلات التحليل النفسى ، وهى مشكلة وصلت أوجها فى أوربا منذ حوالى ربع قرن ، واضطرم النزاع فيها حول من يحق له أن يزاول التحليل النفسى بوصفه ضرباً من ضروب العلاج لبعض الحالات المرضية الخاصة ، ولكنها هدأت الآن واستقر الأمر فيها ، أو كاد ، إلى رأى يخالف الرأى الذى ذهب إليه الأستاذ الفاضل مؤلف الكتاب .

وقد رأى الأستاذ المؤلف ، عند ما أثبتت هذه المسألة فى مصر أخيراً لمناسبة قضية أقيمت على أحد مزاولى التحليل النفسى من غير الأطباء وانعدا به خبيراً فيها ، أن الفرصة سانحة للإدلاء برأيه فى هذه المشكلة التى احتدم الخلاف حولها زمناً غير قصير ، فوضع تقريراً مطولاً ضمنه رأيه فى هذا الشأن ، ولما تم الفصل فى القضية نهائياً نشر هذا التقرير مع مقدمة تاريخية عرض فيها لمراحل تطور العلاج النفسى فى مصر من النواحي العلمية والاجتماعية والقضائية والتشريعية فى الكتاب الذى نتناوله بالنقد الآن .

ويستند الرأى الذى ذهب إليه الأستاذ المؤلف من الناحية العلمية بصفة خاصة إلى تقسيم الإنسان إلى جانب جسمى وجانب نفسى يختلف أحدهما عن الآخر كل الاختلاف وليس ثمة ما يجمع بينهما ، وقد ذكر الأستاذ المؤلف هذا المعنى بصورة شئى فى مواضع متعددة من الكتاب (ص ٤٧ ، ٨٩ وما بعدها ، ١٩١ الخ .) . ولكننا لا نستطيع أن نقره عليه ، فالإنسان وحدة من جسم وعقل ومجتمع ، وإذا أسغنا التحدث عن كل منها على حدة تسهلاً للوصف فاننا لا نستطيع أن نسيغ فصم هذه الوحدة إذا أردنا أن نتعمق فهم الإنسان فى حالتى الصحة والمرض على السواء ، وأن نصل إلى تقويم علته على أساس سليم . ولا يقوم علم الطب ، كما يقول الأستاذ المؤلف ، على دراسة الظواهر البدنية والعناصر العضوية التى يتألف منها جسم الإنسان والتى تخضع بطبيعتها لقوانين المادة وحسب ولكنه يقوم على دراسة جميع العوامل ، أيا كان مصدرها ، التى تؤدى إلى اختلال الوظيفة وتخرج المريض ، أى بالإنسان ، عن حالة السواء . ولا يعالج الطب ، حين يعالج ، عضواً أو جهازاً أو مرضاً ، ولكنه

يعالج مريضاً أى إنساناً . وقد أصبحت مهمة الطب العقلى أن يحمل هذه الرسالة السامية فى حياة الإنسان كوحدة متكاملة ، وانبعثت من هذا التوجيه السديد حركة قوية تخطو بخطى موفقة نحو النضوج والاكتمال هى حركة الطب الجسمى النفسى التى انتظمت طائفة من الأطباء من أعلام التحليل النفسى نذكر فى مقدمتهم الكسندر وما يستوقف الانتباه أن الأستاذ المؤلف لم يذكر الطب العقلى فى الكتاب كله بكلمة إلا حين تحدث عن إفلاس الطب (وهو ما يسميه الطب الجسمانى) فى علاج الأمراض العقلية التى ترجع إلى عوامل نفسية بحتة . ولا شك فى أن الأستاذ المؤلف يعرف أن الطب العقلى حديث العهد فى تاريخ العلوم الطبية ولكنه برغم حداثة عهده فرع مستقر من فروع الطب لا سبيل إلى فهمه وممارسته لغير الأطباء ، وأنه ينتظم كل ما يصيب الإنسان ، فى مختلف أطوار حياته ، من مظاهر الانحراف عن السواء النفسى أو العقلى . ولا نعرف فى مصلحة من أن يباح ولوج الطب النفسى ، فى أى فرع من فروع ، دون قيد أو بقيود شكلية لغير الأطباء ، ولكنه ليس فى مصلحة المرضى على أية حال .

وقد جعل الأستاذ المؤلف من كتاب فرويد « مشكلة التحليل لغير الأطباء » السند الأساسى للرأى الذى ذهب إليه ، واقتبس من هذا الكتاب فى مواضع متعددة ، ولكن الظروف التى نشر فيها هذا الكتاب تغض من قيمته الآن كسند للرأى الذى قصد فرويد إلى الدفاع عنه يومئذ . فقد ظهر الكتاب منذ عشرين عاماً فى وقت تنكرت فيه المهنة الطبية للتحليل النفسى إلا بعض أبنائها واتخذت منه موقفاً عدائياً لا مبرر له ، وقد خشى فرويد على هذا الوليد الجديد أن تغلبه أعاصير الخصومة قبل أن يشتد ويقوى فانصرف عن المهنة الطبية بعد أن غلبه اليأس من مؤازرتها ، وكان أن نشر هذا الكتاب وفى رجائه لو أن المهنة الطبية وقفت منه ومن العلم الوليد موقف الحيدة والإنصاف ، وخاصة وأنه طبيب ، وفريق من أقرب مؤازريه من الأطباء . وقد أشار الكسندر إلى ذلك فى صراحة لا لباس فيها وهو يعرض لمشكلة التحليل لغير الأطباء فى ص ٢١١ من كتابه « القيمة الطبية للتحليل النفسى » إذ قال « لا شك فى أن فرويد حنق حقناً شديداً من إحجام الطب عن تقدير العمل الذى قضى فيه العمر كله » ، وفى ص ٢١٢ « إن حق فرويد هو صدى تجربته المرة الخاصة » .

أما اليوم فقد تبدل الموقف وأقبلت المهنة الطبية على التحليل النفسى إقبالا

يعوض ما فاتها منه من قبل . وقد استقر التحليل النفسى ذاته كعلم وفن علاجى إلى ما ينبغى له من مكانة فى الطب العقلى . وفى خلال السنوات العشرين الأخيرة انتظم فى سلك التحليل المئات من الأطباء ، وساهم الكثيرون منهم فى تقدمه بما لا يستطيع إلا إذا اقترنت الثقافة التحليلية بثقافة طبية ، وأصبح من القواعد المرعية فى معاهد التحليل النفسى فى أنحاء العالم جميعاً ، وخاصة فى أمريكا التى احتضنت التحليل أثناء المحنة العالمية الأخيرة ، ألا يدرب على التحليل العلاجى إلا الأطباء . وتبجلى أثر ذلك فى أسماء المحللين المعترف بهم من معاهد التحليل النفسى ، فقل من نجد منهم من غير الأطباء . وفى القائمتين اللتين ختم بهما الأستاذ المؤلف كتابه وضمنهما أسماء ٤٩ من المحللين غير الأطباء التدليل على ما نقول ، فجل أصحاب تلك الأسماء ، إن لم يكونوا كلهم ، من الذين مرنوا على التحليل العلاجى فى أيامه الأولى ، وليس فيهم من التحق به فى السنوات الأخيرة بعد أن هدأت المقاومات الانفعالية التى آثارها حركة التحليل فى أول الأمر واستجابة هذه الحركة لها . واليوم بعد أن جاوزت حركة التحليل طور الطفولة واتضحت معالم الطريق أمامها نرى أرست جونز وهو عالم كبير من علماء التحليل وأحد رجال الطليعة البارزين فيه يقول فى خطاب له ألقاه يوم ٣ يولييه سنة ١٩٤٦ أمام الجمعية البريطانية للتحليل النفسى ^(١) « يجب أن يكون قد اتضح الآن أن مستقبل التحليل النفسى ، فى مهامه العلاجية اليومية ، مرتبط بعلاقته بالطب ، فلن تجد نظريات التحليل النفسى قبولا أوسع إلا عن هذا الطريق . وقد احتضن بعض المحللين من ربع قرن الفكرة بإمكان قيام مهنة مستقلة للتحليل ، ولكن هذه الفكرة من مخلفات الماضى . وفى الجدل الذى دار يومئذ حول إباحة التحليل لغير الأطباء وأصاب بعض الجمعيات بتفكك خطير وكاد يؤدى إلى انقسام الاتحاد الدولى كان رأي يومئذ هو الذى أقوله اليوم . فقد كان واضحاً لى أنه إذا أبحنا الدخول إلى صفوف المحللين الممارسين للأطباء وغير الأطباء على حد سواء فستكون النتيجة مع الزمن غلبة الفريق الثانى وهم الذين لا يشعرون بالحافز على احتمال مشقة الدراسة الطبية بغير ضرورة ، وتخلف الفريق الأول ، ونكون بذلك إنما نعمل على إيجاد مهنة مستقلة غير طبية تؤذى مصلحة عملنا أبلغ الأذى . ومن ثم كان فى رأي أن السماح لغير الأطباء بالمران ينبغى أن يكون الاستثناء الذى لا يباح إلا للذين يملكون مواهب سيكولوجية ممتازة . والواقع أنه لم يكن هناك مثل جمعيتنا فى قبول غير

(١) الجزآن الأول والثانى من « المجلة الدولية للتحليل النفسى » ، سنة ١٩٤٦ ص ١١ .

الأطباء ، فإن أغلب الجمعيات في أنحاء العالم قد منعت قبول هؤلاء منعاً باتاً . وإني لأؤكد أن النتائج تبرر سياستي . . . » . وإذا كان أرنست جونز قد تمسك بهذا الرأي يوم قست العواصف على التحليل واستهدف مصيره للخطر وتعلق مستقبله غامضاً في كف القدر ، فما أحرى الغيورين على مصلحة هذا الفن الجديد من فنون العلاج أن يروا وجه الصواب فيه وقد هدأت العاصفة واستقر المصير وانضحت معالم الطريق .

ولا يرى الأستاذ المؤلف إباحة التحليل النفسي لغير الأطباء وحسب ولكنه يدعو أيضاً إلى التسامح مؤقتاً في المؤهلات الجامعية والألقاب العلمية والاكتفاء بالنسبة لمن تنقصهم هذه المؤهلات باختبارهم على يد لجنة حكومية . . . الخ (ص ٣٨) ، وهو يذكر في تقرير هذا الرأي أن فيه حلاً وسطاً لمشكلة قلة المتخصصين في العلاج النفسي ، وصيانة للحقوق المكتسبة للمشتغلين منهم ، كما أنه يتمشى مع السابقة التي عومل بها بعض محترفي مهنة طب الأسنان من غير الحائزين على مؤهلات جامعية . ولكننا لا نستطيع أن نقر الأستاذ المؤلف على هذا الرأي ، فليست الحقوق المكتسبة في ظل القوضى والإباحة بغير قيد لفريق قليل من الناس أجدر بالحفظ والصيانة من عقل الإنسان ، وإنه خير أن تظل البلاد على هذا الفقر في المختصين بالطب العقلي حتى ينتبه المسؤولون على تدبير الصحة العقلية في هذا البلد إلى مدى اهمالهم وقصورهم ، من أن يباح هذا الميدان لكل طارق في حدود تقديرية غير محكمة فيعيثون فيه كما يعيثون الآن ، ويعيثون العبث المنكر بعقول الناس ونفوسهم وأخلاقهم ، ويزيدون من تشويه سمعة هذا الفن الناشئ بما يرتكبون من أقبح ألوان الشعوذة والدجل . وإن كاتب هذه السطور ليعرف بين المشتغلين ببعض فروع الطب العقلي عن طريق ادعاء التحليل من تخرجوا في إصلاحيات الأحداث أو من حصلوا على « شهادات » لا قيمة لها من بعض البلاد الأجنبية عن طريق التراسل ، أو من قضوا جانباً من حياتهم يجوبون الريف في الدجل والتسول ، ثم جاءوا القاهرة آخر الأمر يقتحمون ميدان الطب النفسي من أيسر السبل وهو ادعاء التحليل ، ويمألون الصحف بالإعلان عن أنفسهم في غير تحرج ولا حياء ودون الخوف من المراجعة والحساب . وهذه حال مزعجة تهدد مستقبل الطب النفسي والعقلي في مصر وتدعو إلى جانب كبير من يقظة الهيئات المسؤولة أن تظل ممارسة هذا الفن من فنون العلاج فوق الدجل والشعوذة وفوق الترخص والابتذال . ولا شيء في نظرنا يوقف اقتحام الأذعياء ميدان

الطب النفسى إلا التشريع المحكم الذى يحرم على غير الأطباء مزاوله التحليل أو غيره من فروع الطب العقلى إلا أن يكونوا من ذوى المؤهلات الجامعية الخاصة وبشرط أن يعملوا متعاونين مع المختصين بالطب العقلى لا مع الأطباء على وجه عام . وإن مثل هذه الضمانات لتحيط التحليل بسياج من الكفائيات يمنع عنه الأفاقين إلى أبعد مدى مستطاع ولا يدع مجالاً للاستثناء عن طريق أحكام تقديرية كثيراً ما يخطئها التوفيق .

على أن معالجة هذا الجانب من النقص فى مزاوله التحليل النفسى لا يحل المشكلة على إطلاقها ، فإن التحليل النفسى وثيق الصلة بالطب العقلى ، وحل هذه المشكلة يقتضى مراجعة الأوضاع الراهنة فى التعليم الطبى وفى الطب كممارسة وقائية علاجية ، ويقتضى قبل هذا وذاك تصحيح تقويمنا للمرض على ضوء النظرة المستنيرة إلى الإنسان كوحدة من جسم وعقل ومجتمع . ولا يتسع المقام هنا لتفصيل هذا الإجمال ولعلنا نستطيع العودة إليه فى بحث خاص .

وبعد فالكتاب عرض جيد لمشكلة التحليل النفسى من وجهتها التاريخية ، ولكنه كدفاع عن قضية علمية يتشبت بالماضى ولا يتمشى مع الخطوات التقدمية التى أدركها التحليل . والأخذ برأى الأستاذ المؤلف ليس فى مصلحة مستقبل التحليل ولا فى مصلحة المرضى على وجه التحقيق .

صبرى مبرمى

الكتب المهداة إلى المجلة

PUBLICATIONS RECEIVED

Attitudes to Minority Groups, A report prepared by a committee of psychologists and sociologists, under the chairmanship of Charles S. Myers. Newman Wolsey Ltd., London; 1946. Pp. 61.

Le Surnaturel et les Dieux d'après les maladies Mentales. Essai de théogénie pathologique, par Georges Dumas. P.U.F., Paris; 1946. Pp. 328.

L'Intelligence. Par Gaston Viaud. P.U.F., Paris; 1946. Pp. 120.

La Métapsychique. Tome Premier 1940-1946. (Institut Métapsychique International, Paris.). P.U.F., Paris; 1946. Pp. 174.

The International Journal of Psycho-Analysis. (London)

Psychological Abstracts. (Lancaster, Pa.)

Pédagogie. (Centre d'études pédagogiques. Editions Spes; Paris, 1946.)

مشكلة التحليل النفسي في مصر ، دراستها من النواحي العلمية والاجتماعية والقضائية والتشريعية . بقلم محمد فتحى بك ، المستشار بمحكمة استئناف مصر سابقاً وأستاذ علم النفس الجنائى بمعهد الدراسة الجنائية بكلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول . القاهرة ١٩٤٦ ، ٢٢٩ ص .

النقب : تأليف الأستاذ أبو مدين الشافعى . (الناشر: دار الفكر العربى . القاهرة ١٩٤٦ - ١١٨ ص) .

تاريخ الفلسفة اليونانية : تأليف الأستاذ يوسف كرم ، مدرس بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول . (طبعة ثانية منقحة ومزودة . القاهرة . لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ٣١٥ ص) .

تاريخ الفلسفة العربية في العصر الوسيط : تأليف الأستاذ يوسف كرم . (الناشر: دار الكاتب المصرى - القاهرة ١٩٤٦ - ٢٦٦ ص) .

الفنونه البرانية في العصر الاسلامى : تأليف الدكتور زكى محمد حسن ، أستاذ الفنون الإسلامية بكلية الآداب فى جامعة فؤاد الأول . الطبعة الثانية مزودة ومنقحة . (مطبوعات دار الآثار العربية . طبع بمطبعة دار الكتب المصرية . القاهرة ١٩٤٦ - ٤٠٦ ص . فيه ٢٩ شكلا واردة فى متن الكتاب ومذيل بمجموعة من اللوحات الفنية على ورق مصقول عددها ١٦٠ وبخريطة إيران) .

دفاع عن العلم : تأليف ألبير باييه ، أستاذ الأخلاق والاجتماع بالسربون وتعريب الدكتور عثمان أمين ، مدرس الفلسفة بجامعة فؤاد الأول ومنشئ جماعة إحياء الفلسفة ومدير مجموعة نفائس الفلسفة الغربية . (الناشر: دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبي وشركاه - القاهرة ١٩٤٦ - ١٥٤ ص) .

قصة النزاع بين الدين والفلسفة : تأليف الدكتور توفيق الطويل ، مدرس الفلسفة بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول . (الجزء الرابع من السلسلة الفلسفية والاجتماعية . الناشر: مكتبة الآداب بالحمائم ، القاهرة ١٩٤٦ - ٢٦٩ ص) .